

جماليات المنافسة في أسلوب مسعود محمد

كتاب إعادة التوازن إلى ميزان مختل أنموذجا

أ.م.د. ضياء عبد الرزاق أيوب العاني

**EDU.SE188641**

Koya university

# جماليات المنافرة في أسلوب مسعود محمد

□ (كتاب إعادة التوازن إلى ميزان مختل أنموذجا)

هذا السيمينار في أصله بحث ألقى في المؤتمر الأول

للجامعة اللبنانية الفرنسية الذي عقد في أربيل بتاريخ 9/5/2018

اعداد: أ.م.د. ضياء عبد الرزاق أيوب

رئيس قسم اللغة العربية/ فاكulti التربية/ جامعة كويه

## المصادر والمراجع

- إعادة التوازن الى ميزان مختل - مسعود محمد ،المجمع العلمي الكردي - بغداد، 1977
- بنية اللغة الشعرية , جان كوهين، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، دار توبقال، الدار البيضاء - المغرب، 1986
- شعرية الانزياح/دراسة في جماليات العدول، خبرة حمزة العين ، دار اليازوري، عمان\_الاردن، □ 2011.
- المؤتمر الثاني لمشاهير مدينة كويه\_المؤتمر الدولي في الذكرى الخامسة عشرة لوفاة الأديب والفيلسوف والمفكر الكوردي مسعود محمد، مجموعة مؤلفين المجلد الثالث، ط1، مطبعة روزهلات اقليم كوردستان .أربيل، 2018
- المنافرات في أدب قبل الاسلام، فاطمة محمد المزروعي، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، الامارات العربية المتحدة، 2009

## محاور السيمانار

□ التمهيد:

□ أولاً: مفهوم المنافرة

□ ثانياً: التعريف بالكتاب

□ المبحث الأول: المنافرة بين المضاف والمضاف إليه

□ المبحث الثاني: المنافرة بين الصفة والموصوف

□ المبحث الثالث: المنافرة بين المسند والمسند إليه

□ النتائج

## أهمية الموضوع

إنَّ أهمية هذا البحث تكمن في أنَّه قراءة لنصٍّ إبداعيِّ لعلم كوردي ، يمزج بين المادة والروح وهو خليطٌ فريدٌ من العالم والفيلسوف والمفكر والأديب .  
تزخر كتاباته بالعلم والفلسفة والفكر ، هي إلى الأدب أقرب ، وأدبٌ هو في باب العلم والفكر والفلسفة أُدخل

## سبب الاختيار

إنّ اختيار مسعود محمد موضوعا للدراسة يرجع لسببين، أحدهما: إنّ هذا الكاتب لم يحظ باهتمام واضح من قبل الباحثين، ولم تتضافر عليه الجهود البحثية، وجلّ الدراسات التي اهتمت به درست كتاباته باللغة الكردية ووقفت عند الجوانب السياسية والفكرية والدينية والفلسفية من حياة هذا الرجل خلا خمس دراسات كتبت باللغة العربية، ألقيت في المؤتمر الدولي الثاني الذي أقامته جامعة كويه .

أما السبب الآخر فيكمن في نص مسعود محمد ولا سيّما في كتابه إعادة التوازن إلى ميزان مختل، إذ ينزع نصه إلى تحقيق هويته من خلال الاختلاف عن الخطاب الشائع ، والتعالي على مرتكزات التعبير التقليدي مستنكفاً بذلك عن كلّ ما هو قارّ وثابت ، كأنه يؤسس ذاته وجماليتها في تمرده عن التأثير النحوي، والتواصل اللساني ، فيتحوّل إلى مغامرة داخل اللغة تهشم عناصرها ثم تعيد بناءها في حلة جديدة.

## التعريف بالكتاب

□ جاء كتاب إعادة التوازن إلى ميزان مختل رداً على مقالة نشرت في جريدة العراق سنة 1977، نقل فيها صاحب المقالة ما جاء من نقد لكتاب عبد الستار طاهر شريف الموسوم بـ ( حاجي قادر الشاعر الثوري التقدمي الديمقراطي الكوردي)، إذ أكد عبد الستار ابتعاد مسعود محمد في كتابه الذي ألفه عن حاجي قادري والذي تربو صفحاته على الألف، أكد ابتعاده عن دائرة موضوع الشاعر حاجي قادري وشاعريته وموهبته وثوريته ومحتواه الشعري.



## التعريف بالكتاب

□ وان كتابه لا يمت لحاجي قادري إلا بقليل، وفي هذا القليل كما بين السيد عبد الستار يهين مسعود محمد الشاعر الكورديّ التقدمي الذي شرد من وطنه من أجل فقراء بلده، وجعله مسعود محمد شاعرا ديوانيا عاش في كنف الاقطاعيين وجالس مجالسهم.

## التعريف بالكتاب

□ إنَّ قراءة دقيقة لكتاب إعادة التوازن إلى ميزان مختل، تتطلب أن يمتلك القارئ رصيда عاليًا من هذه اللغة، فقد جاء هذا الكتاب ليخاطب الصفوة من دارسيها فلغته لا تتاح للقارئ ببسر وسهولة، وقد أودعه المؤلف خلاصة رأيه في عديد من القضايا الأساسية المتصلة بمسيرة الثقافة الكوردية، ولأجل ذلك فإنَّ هذا الكتاب يشكل إحدى المساهمات الجادة التي تتناول أهم المحاور الرئيسة لمشروع مسعود محمد، وخصوصًا في مجالات نقد الفكر اليساري الاشتراكي، ويشدد على تحديث العقل الذي يقتضي أولاً وقبل كل شيء، استقلالية هذا العقل وقبوله نقدَ معارفه بعيدًا عن الدوغمائية.

## التعريف بالكتاب

□ ولأجل ذلك فإنّ هذا الكتاب يشكل إحدى المساهمات الجادة التي تتناول أهمّ المحاور الرئيسية لمشروع مسعود محمد، وخصوصاً في مجالات نقد الفكر اليساري الاشتراكي، ويشدد على تحديث العقل الذي يقتضي أولاً وقبل كل شيء، استقلالية هذا العقل وقبوله نقد معارفه بعيداً عن الدوغمائية.

□ وخلاصة القول إنّ هذا الكتاب ثمرة ثقافة واسعة وهو صورة لواقع الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية والدينية التي عاشها مسعود محمد في كردستان وبغداد.

أما المنافرة لغة: فإنَّ الاشتقاق اللغوي لها مأخوذ من مادة (نفرَ)، وتعني التفرق والتباعد والشروء، سواء أكان ماديا أم معنويا، والمحاكمة للقضاء بين طرفين أو قبيلتين فيما يختلفان فيه، وأصل المنافرة من قولهم أينا أعز نفرا.

وتعدُّ من الموضوعات الشائعة في التراث العربي الأدبي القديم، وهي صورة من صور التباهي بالاحساب والأنساب، ووسيلة للفصل بين المتنازعين، وقد يتحول التنازع بين رجلين الى صراع بين القبائل أو في القبيلة نفسها، وهي وسيلة لاثهار الحق واقامة العدل، وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى:

وانَّ الحقَّ مقطَّعه ثلاثٌ      يمينٌ أو نفارٌ أو جلاءُ

وهناك مصطلحات عديدة متداخلة أو مترادفة مع المنافرة منها المخايرة والمفاخرة والتنايل والمناجبة والمشايصة والمماجدة. وهذه المترادفات تؤكد ان جوهر المنافرات هو التباهي بالانساب وتدل ايضا على التباري والتسابق بين طرفين لتفضيل احدهما على الاخر من خلال الفصل والقضاء بينهما.

وما يعنينا هنا هو مفهوم المنافرة في الدراسات الأسلوبية الحديثة، فهي تعني عدم الملاءمة بين كلمتين بينهما علاقة، وتشكّل انزياحا صارخا قياسا بالانزياحات التركيبية والصوتية التي تعدّ انزياحاتها ضعيفة، فالمنافرة تعدّ خرقا لقانون الكلام، وتتحقق على مستوى السياق، وتتطلب جهدا ذهنيا أكبر كلما اتسعت الفجوة بين المتنافرين.



□ ولأنّ كتاب (إعادة التوازن إلى ميزان مختل) حافل بأمثلة كثيرة عن المنافرة، لأجل ذلك سعينا إلى رصد جماليات المنافرة في الأمثلة المختارة، وبذلك فقد تناولت الدراسة جانبًا فنيًا مهمًا في تجربة مسعود محمد، تمثّل في ظاهرة المنافرة التي استثمر الكاتب تجلياتها الفنية، وفاعليتها الدلالية، وأبعادها الجمالية، لتشكيل لغته على نحو يكسبها طاقات إيحائية، وإمكانات تعبيرية، قادرة على تجسيد رؤيته التجديدية، والإيحاء بحالاته الانفعالية، وتمثلت تلك التجليات بالمنافرة بين المضاف والمضاف إليه وبين الصفة والموصوف. وبين المسند والمسند إليه.

## المبحث الأول: المنافرة بين المضاف والمضاف إليه:

يتجلى المظهر الأبرز من مظاهر المنافرة في أسلوب مسعود محمد بالمنافرة بين المضاف والمضاف إليه، فالتنافر الاضافي هو (( المفاجئة التي ينتجها حصول غير المنتظر عن طريق المنتظر؛ أي أن نتوقع مضافا إليه يتلاءم والمضاف... وهو من الحيل المقصودة للفت انتباه القارئ حتى لا تفتّر حماسه لمتابعة القراءة)).

هذا التوقع لا بدّ أن يُكسر في اللغة الشعرية التي تعمل على تحطيم نظام هذه الوحدة التركيبية لخلق فجوة حادة بين طرفيها، وقد طغى هذا النمط من المنافرة لدى مسعود محمد على بقية الأنواع، وأسهم في بناء نصوصه، وإعلاء شعريتها، إذ أراد الكاتب عن طريق هذه العلاقات الإضافية الجديدة أن يُسهم في تدعيم الدوال بمدلولات جديدة؛ لرسم صورة الواقع الذي يتخيله.



لقد أولى مسعود محمد هذا النوع من المنافرة عناية فائقة في كتابه إعادة التوازن إلى ميزان مختل، القائم في تشكيله على الإضافة، كونه معياراً من معيار الشعرية، يحقق ما يسمى بالفجوة، أو التوتر الذي يفاجئ المتلقي، ويدهشه على نحو ما يتجلى في قوله: ((إني لأرجو أن أقرب إليك في الترجمة صورة من الصور التي خُضتُ فيها معركة استنقاذ جلال قدر حاجي وشخصيته من برائن التّصورات الماديّة المتطرّفة من إبطال دور الفرد وخواء إرادته أمام جبروت الواقع)) (محمد، 1977، 18).

يشتمل السياق على جملة من التراكيب الاضافية المتنافرة، فالتنافر الاضافي الأول قائم بين برائن وتصورات، فالبرائن لفظة مقترنة في اللغة بالأسد، لأنّ ((البرائن أظفار الاسد)) (ابن منظور، 2003، 2/369). وحيث إنّ هذه الكلمة تدل على العدوان

الشخصية التي تتفرد بالسلطة والسيادة، فإنّ البرائن تدل على العدوانية التي تتفرد بالسلطة والسيادة.

أما المنافرة الثانية فتتمثل في قوله: خواء إرادته، فالخواء مفردة اقترنت بالجوف، فـ ((الْخَوَاءُ: خلو الجوف من الطعام)) (ابن منظور، 2003، 3/253). إلا أنّ مسعود محمد نقلها من هذا الحقل إلى حقل آخر منافر لها حينما أضافها إلى الإرادة، فمنحها بذلك علاقة جديدة، إذ تبدو الفجوة واضحة بين الخواء والإرادة، وهذا ما قصده الكاتب، إذ حاول بهذا التنافر عن طريق الإضافة لفت انتباه القارئ إلى سلوك سلبي قد يسيطر على الفرد يتمثل في استسلامه لواقع غير صحيح بسبب ضعف إرادته. وتمثلت المنافرة الثالثة في قوله: (جبروت الواقع)، وهي منافرة تتواشج مع المنافرتين السابقتين في تأكيد المشهد السابق، مما شكل مرتكزا لتوليد طاقات دلالية، وآفاق جمالية، عمّقت من تجربة المبدع في وجدان المتلقي.

## المبحث الثاني: المنافرة بين الصفة والموصوف:

أما مناصرة الصفة فيمكن القول ابتداءً: إنّ النعت والمنعوت هما معنى واحد في كلمتين ترفعان قيمة الانزياح من حيث البنية النحوية، ويظل المبدع قادراً على اللعب بالعلاقة التي تجمع بينهما. إذ تتحول اللغة الشعرية عن وضعيتها الاحتفالية والمقدسة التي تنبني هي نفسها على اختراقها، إذ تكون الصفة.

وبذلك يجد القارئ نفسه أمام جملة مكونة من صفة وموصوف وهي مكتملة مبنى ومعنى، وذلك بتوليد دلالات جديدة للمفردات في إحداثه تشكيلات متميزة عن سابقتها، استعملت فيها تلك المفردات ذاتها على نحو يهدم أبنية لغوية قائمة؛ ليبني على أنقاضها بنيانا جمالياً لم يألفه القارئ، بيد أنّ التنافر فيها يتجلى عبر الصفة.

## المبحث الثاني: المنافرة بين الصفة والموصوف:

وقد كان مسعود محمد حريصا على اختيار الصفات المنافرة لموصوفها بحذر ودقة ليبرز ما كان يريد من الصور، كما في قوله: (( من خلال النَّظَر الطَّلِيق الجريء النَّاجِي من أحابيل الرَّأْي الجاهز، والقرار المنتهي، والصيغ المصبوبة، والمفاهيم المنحوتة)) (محمد، 1977، 83).

إنَّ الصياغة الأسلوبية هنا تعتمد التناقض بين المفردات المكونة للصورة، فالنسيج اللغوي يظهر لنا صورتين متناقضتين، إذ أنَّ السؤال المطروح هو كيف يكون النظر طليقا وجريئا وناجيا؟ وكيف تكون الصيغ مصبوبة والمفاهيم منحوتة؟ إنَّ الكاتب يضعنا، باستعماله لهذه الصفات أمام مفارقة نصية تتطلب التوقف لإعادة معاينتها، للدلالة عليه

## المبحث الثاني: المنافرة بين الصفة والموصوف:

وإنما استطاع تحويلها إلى مدلولات أخرى من وضعه وابتكاره، وهو في أثناء ذلك يعمل على خرق دلالة الألفاظ، وبذلك فقد خلق عالما جديدا يتعدى فضاء الوصف المباشر، ليجعل منها لوحات مرسومة تثير في نفس المتلقي مشاعر عميقة، تجعل منه شريكا في التجربة. ولعل اتكاء النص على جماليات التوازي، وتوسل الكاتب بجماليات هذا التوازي في قوله: (الطلق الجري الناجي) وقوله: (والصيغ المصبوبة والمفاهيم المنحوتة)، قد قرَّب المسافات الطويلة بين ما هو نثري وما هو شعري

## المبحث الثالث: المنافرة بين المسند والمسند إليه:

إنَّ العلاقات السياقية والإسنادية بين الكلمات هي التي تعمل على تحقيق التجانس بين عناصر التركيب، فالمبتدأ يحتاج إلى خبر يتلاءم معه دلالياً، والفعل يحتاج إلى فاعل كذلك، وقد تفتقر اللغة الشعرية إلى مثل هذه الملاءمة، إذ قد يسعى الشاعر أو الكاتب إلى تعطيل هذه الوظيفة النحوية بخلق نوع من التنافر وعدم الانسجام بين المتلازمين النحويين لتحقيق قدر عالٍ من الشعرية، فتكون الشعرية بذلك ((خصيصة تجانس وانسجام وتشابه وتقارب ، بل نقيض ذلك كله)) ( أبو ديب، 1987، 28)، فاللغة الشعرية قائمة على عقد صلة جديدة بين الصياغة والدلالة لتكوين مستقل قائم بذاته بعيداً عن النموذج المعياري ( أبو المتوكل، 2005،)، وتأسيساً على ذلك عدَّ جان كوهين اللغة الشعرية انحرافاً عن قواعد الكلام العادي.

## المبحث الثالث: المنافرة بين المسند والمسند إليه:

وهو يسمى الانزياح الناجم عن عدم ملاءمة المسند للمسند اليه انزياحا اسناديا أو منافرة، وتتجلى المنافرة في النص عند أخذ الكلمات بمعانيها الحرفية، مما يؤدي إلى خلق فجوة حادة بين الاختيارات المتحققة على المحور التراصفي والاختيارات الممكنة التي تتحقق على المحور النسقي. وفائدة مثل هذه التراكيب المتحققة بفعل هذه الاختيارات تكمن في حصول دلالة غير مصطلح عليها أي غير مستعملة ولا تحصل إلا عن طريق العلاقات النحوية، فيقوم المبدع حينئذٍ بخلق حالة من الانسجام أو اللامألوف بين الفعل والفاعل، لينتج دلالة جديدة تختلف عن الدلالة الأولى، مما يتطلب من المتلقي إعادة بناء للهدم اللغوي الحاصل بفعل هذا التنافر

## المبحث الثالث: المنافرة بين المسند والمسند إليه:

ومن المنافرة قوله: ((تتألقُ آفاقُ الكردِ بشفقِ الثورةِ وتحتدمُ أجواؤهُ بصيحةِ البطولةِ)).  
في هذا التنافر تكتسب الأشياء والموجودات صفات جديدة عن طريق الإسناد والتحويل اللغوي من الخطاب العادي إلى الخطاب الشعري، فعبرة (تتألقُ آفاق)، فيها نفور بين المسند والمسند إليه، لأنَّ كلمة تتألق لا يمكن أن تقترن بالآفاق، فهي مرتبطة بالبرق، تقول: ((تألَّقَ البرق، أي لمع)). أما هنا فقد أسندت إلى الآفاق، وهو إسناد من جهة النحو معياري، أي متفق مع القوانين النظرية شكلا، عدا أنَّه من جهة المعنى يشكل انزياحا دلاليا، وذلك أن الآفاق لا تتألق وإنما تتسع، كذلك الحال بالنسبة للتركيب (شفق الثورة) و(صيحة البطولة)، وهو ابتكار صنعه مسعود محمد وكان في غاية الجمال، إذ تحركت هاتان الاضافتان تاركة المجال التقريري ساعية إلى فكِّ اللغة الشعرية. ((والشفق: الحُمْرة في الأفق، من الغروب إلى



## المبحث الثالث: المنافرة بين المسند والمسند إليه:

وبذلك فإنّ العلاقات الاسنادية—على قلتها- والتي أوجدها الكاتب بين طرفي الإسناد، علاقات مثيرة إلى حدّ كبير، ساعدت على انتاج لغة شعرية مكتنزة بالقيم الفنية، منراحة عن المألوف، وابتعدت عن المتداول، وولدت هوة بين المسند والمسند إليه، تدعو المتلقي إلى إعمال فكره.

## نتائج البحث

شكّلت نصوص مسعود محمد خرقاً لافتاً في بناء اللغة المعيارية عن طريق المنافرة، ويتجلى مظهر الأبرز من مظاهرها في أشكال متعددة تأتي في مقدمتها الإضافة، إذ طغى هذا النمط من المنافرة على بقية الأنواع، وأسهم في بناء نصوص الكاتب، وإعلاء شعريتها، وتدعيم دوال بمدلولات جديدة؛ لرسم صورة الواقع الذي يتخيله.

كما تضمنت المنافرة أنواعاً أخرى تجلى فيها الإنزياح منها: منافرة الصفة، إذ سعى الكاتب إلى توليد دلالات جديدة للمفردات في إحداثه تشكيلات متميزة عن سابقتها عن طريق التنافر بين الصفة وموصوفها.

سعت المنافرة بين المسند والمسند إليه في أسلوب مسعود محمد \_ على الرغم من قلتها- إلى جديد الوظائف النحوية المألوفة، وتحقيق قدر عال من التطور الدلالي، واكساب النص خصوبة

- كما تضمنت المنافرة أنواعا أخرى تجلى فيها الإنزياح منها: منافرة الصفة، إذ سعى الكاتب إلى توليد دلالات جديدة للمفردات في إحداثه تشكيلات متميزة عن سابقتها عن طريق التنافر بين الصفة وموصوفها.